IUGJEPS
Vol 28, No 1, 2020, pp 29 -51

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-08-18)، تاريخ قبول النشر (2018-10-22)

تناوب الصيغ الصرفيّة ذات الأصل الواحد وتنافرها في القرآن الكريم (أَفْعَلَ وفَعَّلَ: الفِعْلِيّتان) أنموذجًا

اسم الباحث: د. أحمد إبراهيم أحمد * 1

[1] اسم الجامعة والبلد: قسم اللغة العربية - كلية الآداب
الجامعة الأردنيّة - الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Ahmed.ourimail@gmail.com

الملخّص:

يقوم البحث - في الأصل - على تجلية القول في تناوب الصيغ الصرفيّة ذات الأصل الواحد وتنافرها في مواضع محدّدة في القرآن الكريم، وقد تناولت الدراسة - للوصول إلى هذه الغاية المرجوّة - صيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ من جذرٍ لغويّ واحد، وما كان من الصفة الفعليّة منها حسْب، وأمّا الصيغ الاسميّة من تلكما الصيغتَيْن فلم يُبحث فيهما من مثل كلمة: (أكبر) في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر 57]، وعرضت الدراسة صيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ الفعْليَّتَيْن (من أصل لغويّ واحد) جميعًا في القرآن الكريم وبحثت في مقارنة بعضٍ منها ببعض تجليةً للفكرة.

وبُدء البحث بتمهيدٍ فيه أربعة مطالب: أحدها للتعريف بعلم الصّرف بصورة عامّة، وثانيها يقف على المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ لكلّ من كلمتَي: (التناوب) و(التنافر)، والثالث: يتناول المعانيَ الصرفيّة العامّة لصيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ، وأمّا الرابع فللحديث عن صيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ في القرآن الكريم.

وتكوّن - البحث - من ذلك التمهيد، وما تلاه من مبحثَيْن اثنَيْن رئيسَيْن؛ أحدهما يبحث في الصيغ التي يصحّ التناوب في معانيها في سياقات متعدّدة في القرآن الكريم - مع وجود بعض الاختلاف - والثاني الأخير يُفصّل القولَ في الصيغ التي لا يصحّ التناوب في معانيها في سياقاتها المتنوّعة في القرآن الكريم، وأعني بذلك الصيغ المتنافرة، وختمت الدراسة بالنتائج التي توصّلت إليها.

كلمات مفتاحية: التناوب - التنافر - أَفْعَلَ - فَعَّلَ - القرآن الكريم.

The Alternation and Disagreement of the Morphological expressions of the same root in the Holly Quran.

Abstract:

The study is originally based on highlighting on the words of one origin which is used or can't be used alternately in the Holly Quran.

The study searches the words "Afal" and "Faal" from the same root used in verbal sentences.

The study is begin with a preface consists of three demands. The first talks about morphology. The second is about the morphological meaning of "Afal" and "Faal". The third is about "Afal" and "Faal" which is used or can't be used alternately in the Holly Quran.

The study also consists of two topics; the first clarifies the expressions that is used by turns in different contexts in the Holly Quran. The second illustrates the expressions that can't be used by turns in different contexts in the Holly Quran. The study is concluded by the results that is found.

Keywords: (Alternation, Disagreement, Afal, Faal, Holy Quran)

المقدّمة:

الحمد لله الذي وفّى كلّ لفظ في القرآن مؤدّاه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اتّبع هداه إلى يوم يلقاه، ومن جعل المعرفة والعلم في عيْشه غاية مبتغاه،،،

أمّا بعد،،،

فالقرآن الكريم أعظم المعجزات التي خصّ الله – عزّ وجلّ – بها أشرف خلقه، وخيرَ أمّة أخرجها للنّاس، وهو الكتاب الذي "لا يأتيه الباطل من بين يدّيْه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد". وقد أودع الله – سبحانه – كتابه هذا غُرر البلاغة ودُرر البيان، تحدّى به أناسًا ملكوا ناصية الفصاحة وفنون الكلام أنْ يأتوا بسورة من مثله، أو حتّى آية؛ فارتدّ جهدهم خاسئًا وهو حسير.

ولمّا كان إعجاز القرآن الكريم – بالدرجة الأولى – في فصاحته وبلاغته وبيانه، ولا يمكن الوصول إلى دقائق معانيه وحُسْن فهمه إلّا بالتمكّن من وعائه؛ اللغةِ العربيّةِ وعلومها؛ فقد أصبح التمكّن منها ومن علومها؛ النحو والصرف والبلاغة والدلالة ... ضرورة من أجل فهمه وإدراك أسراره ومراميه.

ويُخصّ علم الصرف في هذا البحث بالعناية؛ لما لأثر هذا العلم في توجيه المعاني في القرآن الكريم وتوضيح دلالاتها؛ فقد يلحظ قارئ القرآن الكريم ورود كلماتٍ ذات أصل لغويّ واحد، بصيغ متنوّعة، مثل قوله تعالى: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ**﴾ [الصافات: 12–14] انظر إلى الفعل سَخِر[1]؛ ورد مرّة مجرّدًا ومرّة بصيغة الاستفعال، ويتساءل القارئ عن الفرق بين الصيغتين، وعن السرّ في ورود الكلمة بصيغة معيّنة تارة، وبصيغة أخرى تارة ثانية، وهل للصيغة الصرفيّة أثرٌ في تحديد الدلالة؟ وهل الأثر لها وحدها أم أنّ السياق والمعنى اللغويّ ونحو ذلك له أيضًا علاقة وتأثير في تحديد المعنى؟

هذه التساؤلات التي تطرح، وغيرها ستحاول الإجابة عنها هذه الدراسة، ولا بدّ من القول: "إنّ العدول عن صيغة إلى أخرى، لا بدّ أنْ يصحبه عدولٌ عن معنى إلى آخر، ولو لم يختلف المعنى لما اختلفت الصيغة، اللهمّ إلا إذا كان ذلك لغة"[2].

من أجل ذلك كلّه فقد سعيتُ في هذا البحث لدراسة جزءٍ ممّا يُجلّي بعضًا من إعجاز القرآن الكريم وبيانه؛ فوقع نظري على كلماتٍ بعينها تختلف في صيغها الصرفيّة وأوزانها يُظنّ أنّها تحمل معنًى واحدًا؛ لأنّها تشترك في جذرٍ واحد، ومن هذا صيغتا (أَفْعَلَ) و(فَعَّلَ) الفعليّتان من الجذر نفسه؛ فقد تبادلتا المواقع في آيات متماثلة عديدة، ولم يكن ذلك في كثير من الأحيان في إطارٍ من الترادف أو تقارض الصيغ، بل جاء في إطارٍ من الاختلاف في الدلالة وضروبٍ متنوّعة من الاستعمال.

وقد قمتُ بتتبّع هذه الأمثلة كلّها، وحصرتُها في أربعة وعشرين مثالًا تكرّرت في مئات المواضع في آيات القرآن الكريم، من مثل: أبدل وبدّل وأبصر وبصّر وأحبّ وحبّب وأكبر وكبّر وأكره وكرّه وأمهل ومهّل وغيرها، مسترشدًا ببعض جوانب علم التصريف. وأحسب أنّ هذه الدّراسة خطوة جديدة في طريق بدأها بعض الباحثين ممّن تناولوا صيغًا أخرى ودرسوا دلالاتها في القرآن الكريم بعامّة.

وعلى ما يحوزه هذا الموضوع من أهميّة إلّا أنّنا نجد أحكامه متناثرة في بطون الكتب مبعثرة في كثيرٍ منها، فجاء هذا البحث محقّقًا بعضًا من هذه الغاية؛ فجمع الصيغتَيْن في مبحث واحد، وبنى على ما بُحث فيهما من قبلُ، وأتى بنتائج تلك الدراسة ووازن بينهما عندما تكونان من أصلٍ لغويٍّ واحد، وتستعملان في موضع بعينه، ولعلّ هذا يوضّح جانبًا من جوانب الإعجاز اللغويّ في القرآن الكريم.

وإنّ من منهج هذا البحث الاكتفاءَ بالصفة الفعليّة لصيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ بالأزمان المختلفة؛ الماضي والمضارع والأمر، وتجاوز الصفة الاسميّة في تلكما الصيغتَيْن، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: صيغة أَفْعَلَ في (أكبر) في قوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ**

(1) وغيرها من الأمثلة التي ستبحثها هذه الدراسة في صيغتَي (أَفْعَلَ" و"فَعَّلَ).

(2) انظر السامرّائي، معاني الأبنية في العربيّة.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]، وقد اكتُفِيَ في البحث ببعض الأمثلة للتوضيح.

وتمثّلت أهداف الدراسة فيما يأتي:

- إبراز العلاقة الوطيدة بين علم الصرف والبنية الصرفيّة في توضيح الدلالات القرآنيّة.
- تتبّع صيغتَيْ أَفْعَلَ وفَعَّلَ من الجذر نفسه في القرآن الكريم.
- دراسة بعض الآيات التي استُعملت فيها الصيغتان من الجذر نفسه أو إحداهما في مواضع بعينها، والمقابلة بينها للوقوف على أثر تناوب الصيغتين في دلالة معانيهما أو تنافرهما؛ فكلّ عدول في التعبير عن صيغة يرافقه معنًى جديد في الصيغة المعدول إليها تمتاز به عن الصيغة المعدول عنها.
- تبيّن أثر الاختلاف في المعنى بين الصيغتين على التفسير والأحكام الفقهيّة والإعجاز اللغويّ للقرآن الكريم قدْر المستطاع.

هذا وبعد أن انتهيتُ من إعداد هذه الدراسة المتواضعة، فإنّي أُقرّ بما عند البشر من نقص؛ فالكمال لله – سبحانه – وحده، وإنّي إذ ذاك فأعتذر إلى الله أوّلًا عن هذا وأرجوه – جلّ وعلا – السداد والقَبول إنّه أكرم مسؤول وأعظم مأمول،

والله وليّ التوفيق،،،

* * *

التمهيد:

المطلب الأوّل: علم الصرف

ـــــ معنى الصرف:

- لغة: يأتي الصرف و التصريف بمعانٍ منها:

التغيير والتحويل: وفي "اللسان": الصرف: ردّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفًا؛ فانصرف، والتصريف مشتقّ من الصرف؛ لإفادة التكثير، وصرّف الشيء: أعمله في أكثر من وجه، ومنه: تصريف الرياح، أي: جعلها يمينًا، وشمالًا، وتصريف الآيات: تبيينها محوّلة من أسلوب إلى آخر، وصرفت الأجير: خلّيت سبيله. وصرّفت المال: أنفقته، واستصرفت الله المكاره: سألته صرفها عنّي، وصروف الدهر: نوائبه، والتصريف في الكلام: اشتقاق بعضه من بعض، والصِّرف: (بكسر الصاد): الشراب الذي لم يمزج، ويقال لكلّ شخص من شوائب الكدر: صِرف؛ لأنّه صرف عن الخلط[1].

- اصطلاحًا: علم يُبحث فيه عن بنية الكلمة العربيّة، وما لحروفها من أصالة و زيادة، وصحّة و إعلال، وشبه ذلك[2].

أو هو علم يُعرف به صياغة الأبنية وأحوالها، وما يعرض لها من ممّا ليس بإعراب ولا بناء، وهو: عدد حروف الكلمة المرتبة وحركاتها وسكناتها مثل: بناء المضارع والماضي والأمر واسمَي الفاعل والمفعول وبقيّة المشتقّات والمصغّر والمنسوب والتثنية والجمع وأحوال الأبنية: الإعلال والإبدال ونحو ذلك...[3].

والتصريف: هو ما يلحق الكلمة ببنيتها، وينقسم إلى قسمين: أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني، وينحصر في التصغير و التكبير والمصدر واسمي الزمان و المكان واسم الفاعل واسم المفعول والمقصور والممدود، وثانيهما: تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها، وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام[4]. وهو ما لا يتعلّق إلا بالأسماء المتمكّنة (المُعربة) و الأفعال. أمّا الحروف و شبهها فلا علاقة لها بالتصريف. قال ابن مالك[5]:

حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِي وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفٍ حَرِي

وَلَيْسَ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِيّ يُرَى قَابِلَ تَصْرِيفٍ سِوَى مَا غُيِّرَا

وجاء الصرف في السياق القرآني بمعانٍ، منها:

التوجيه: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾ [الأحقاف: 29]. أي: وجّهنا إليك. والإمالة: قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: 127]. أي أمال الله قلوبهم. ووردت هذه المادّة بمعانٍ أخرى متقاربة[6].

ـــــ أهمّيّته:

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادّة صرف.

(2) الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، (ج 2، ص 284).

(3) عضيمة، المغني في تصريف الأفعال، (ص 23، 24).

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج 1، ص 373).

(5) ابن مالك، ألفيّة ابن مالك في النحو والصرف، ضمن كتاب (مجموع مهمّات المتون في مختلف الفنون والعلوم)، (ص 375).

(6) انظر الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مادّة صرف، (ص 279).

قال ابن عصفور: التصريف، أشرف شطري العربيّة وأغمضهما[1]؛ فالذي يبيّن شرفه احتياج المشتغلين بالعربيّة جميعهم، من نحْويّ، ولغويّ إليه أيّما حاجة؛ لأنّه ميزان اللغة، فجزءٌ كبير من اللغة يؤخذ بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلّا من طريق التصريف. وممـّا يبيّن شرفه – أيضـًا – أنّه لا يُتَوَصّـل إلى معرفة الاشتقاق الصحيح إلا به. وقال الشيخ الغلاييني: والصرف من أهمّ العلوم العربيّة؛ لأنّ عليه المعـوّل في ضبط صيغ الكلم، ومعرفة تصغيرها و النسبة إليها، والعلم بالجموع القياسيّة، والسماعيّة والشاذّة، ومعرفة ما يعتري الكلمات من إعلال أو إدغام أو إبدال، وغير ذلك من الأصول التي يجب على كلّ أديب وعالم أنْ يعرفها؛ خشية الوقوع في أخطاء يقع فيها كثير من المتأدّبين الذين ليس لهم حظّ من هذا العلم الجليل النافع[2].

* * *

المطلب الثاني

المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ لكلمتَي: التناوب والتنافر

ـــــ التناوب:

- لغةً: التقاسم. وتناوب القوم الماء: تقاسموه، وناب الشيء عن الشيء، ينوب: قام مقامه[3].
- اصطلاحًا: أن تحلّ اللفظة مكان الأُخرى، وتؤدّي معناها[4].

ـــــ التنافر:

- لغةً: التباعد. "والنَّفْرُ: التَّفَرُّقُ"[5].
- اصطلاحًا: ألّا تحلّ اللفظة محلّ الأُخرى، وأن تتباعدا في معناهما.

* * *

المطلب الثالث

المعاني الصرفيّة للصيغتين:

*** أوّلًا: صيغة أفعل**

لا بدّ لي أن أقدم بين يَدَيْ دراستي للمقارنة بين صيغتي (أَفْعَلَ) و(فَعّلَ) الفعليتين من الجذر نفسه في القرآن الكريم، وقبل الخوض في الحديث عن الصيغ المدروسة فيه، أن أقدم لمحة عن صيغة (أفعل) بشكل عام ومعاني الزيادة فيها؛ إذ إن الزيادة على الصيغة الأصلية للفعل تعبر عن معانٍ كثيرة من أهمها:

التعدية، وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولًا، كأقمت زيدًا وأقعدته وأقرأته؛ الأصل: قام زيد وقعد وقرأ، فلمّا دخلت عليه الهمزة صار زيد مقامًا مقعدًا مقرأً، فإذا كان الفعل لازمًا صار بها متعدّيًا لواحد، وإذا كان متعدّيًا لواحد صار بها متعديًا لاثنين، وإذا كان متعديًا لاثنين، صار بها متعديًا لثلاثة. ومن معانيها: صيرورة شيء ذي شيء: كألبن الرجل وأتمر وأفلس: صار ذا لبن وتمر وفلوس. والدخول في شيء: مكانًا كان أو زمانًا، كأشأم وأعرق وأصبح وأمسى، أي دخل في الشأم، والعراق، والصباح،

(1) الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، (ص 31).

(2) الغلاييني، جامع الدروس العربيّة، (ج1، ص 9).

(3) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ج1، ص 775).

(4) ولا يعني هذا – بحال – معنى الترادف بين ألفاظ القرآن الكريم؛ فقد تحلّ الكلمة محلّ الأخرى فتقترب من معناها بقدر ما، فتؤدّي جزءًا من ذلك المعنى، وتصلح أن تحلّ محلّها بقدْر ذلك الجزء، وقد تقترب الألفاظ من معاني ألفاظ أُخرى بأقدار متفاوتة .

(5) ابن منظور، لسان العرب، (ج5، ص 224).

والمساء. والسلب والإزالة: كأقذيت عين فلان، وأعجمت الكتاب: أي أزلت القذى عن عينه، وأزلت عجمه الكتاب بنقطه. ومصادفة الشيء على صفة: كأحمدت زيدًا: وأكرمته، وأبخلته: أي صادفته محمودًا أو كريمًا أو بخيلًا. والاستحقاق: كأحصد الزرع، وأزوجت هند؛ أي استحق الزرع الحصاد، واستحقت هند الزواج. والتعريض: كأرهنت المتاع وأبعته؛ أي عرضته للرهن والبيع[1]. ومن المعاني – كذلك – أن يكون بمعنى استفعل، كأعظمته؛ أي استعظمته. وأن يكون مطاوعًا لفعّل بالتشديد، نحو: فطّرته فأفطر وبشّرته فأبشر. والتمكين، كأحفرته النهر؛ أي مكّنته من حفره، أو يسمّى الإعانة؛ أي أعنته على حفره. وربما جاء المهموز كأصله: كسرى وأسرى، أو أغنى عن أصله لعدم وروده كأفلح؛ أي فاز. وندر مجيء الفعل متعدّيًا بلا همزة، ولازمًا بها، كنسلت ريش الطائر، وأنسل الريش، وعرضت الشيء: أظهرته، وأعرض الشيء: ظهر، وكببت زيدًا على وجهه، وأكبّ زيد على وجهه، وقشعت الريح السحاب، وأقشع السحاب، قال الشاعر:

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ[2]

وهناك معانٍ أُخرى هي أقرب إلى الدلالة المعجميّة، أمّا الصيغة فلا تدلّ عليها حقيقة، مثل ذلك الهجوم في: أطلعت عليهم بمعنى هجمت عليهم، فليس مردّ دلالة الهجوم إلى الصيغة، والضياء في: أشرقت الشمس؛ فالدلالة على الضياء جاءت من مادة (شرق) وليس من صيغة (أفعل)، والوجود في: أبصره أي: دلّه على وجود المبصر فهذه تدلّ على الجعل أي: جعله يبصر، والوصول في: أغفلته أي: تركت غفلتك تصل إليه، وهذه تردّ إلى الجعل أيضًا، فيقال جعلته غفلًا، والتسمية في: أكفرته أي سمّيته كافرًا، ويمكن ردّها إلى الجعل – أيضًا – فالمعنى: جعلته كافرًا في نظري واعتقادي، وهنا (جعل) ليس على الحقيقة وإنّما على المجاز. ولا بأس بأن تجعل في معنى منفصل، مع الإشارة إلى تفرعها من (الجعل)، ومن معانيها – كذلك – "الوجدان: أكبر"[3].

قلتُ: ولم ترد صيغة (أَفْعَلَ) الفعليّة في القرآن الكريم بهذه المعاني كلّها، بل انحصرت في بعضها، ومن أهم ذلك ما كان منها مطاوعًا لفعّل بالتشديد، وهذا ما سيظهر جليًّا واضحًا في المبحث الذي يقارن بين الصيغتين من حيث مواضعهما التي استعملت فيها في القرآن الكريم.

*** ثانيًا: صيغة فعَّلَ**

قبل الحديث عن دلالات (فَعَّلَ)، لا بدّ من الإشارة إلى صفة التضعيف في الصيغة التي منحتها تلك الدلالات؛ فالتضعيف في العين يقوّي الحدث معنويًّا ويزيد في انفعاله، ويعطي للصيغة حركة مخصّصة ضمن السياق اللّغويّ. وقد أكّد ابن جنيّ أهمية الصيغة المعنوية الناجمة من جرّاء تكرار العين فيها، وقد أعطى ابن الأثير أهمية التضعيف في قوة المعنى إذ قال: "الألفاظ أدلّة على المعاني"[4].

ولصيغة (فعّل) في العربية دلالاتٌ كثيرة عرفها الصرفيّون باستقراء كلام العرب، ومن كثرة استعمالاتها وتداولها في اللغة العربية الفصحى للتعبير عن أغراض معيّنة. و يكثر استعمال الصيغة في معانٍ تشارك (أفعل) في اثنين منها، أحدهما: التعدية كقوّمت زيدًا وقعّدته، وأدّبته. أي إذا كان الفعل المجرد لازمًا نحو: فرح وغرق وخرج وفهم، صار متعدّيًا بتضعيف عينه نحو: فرّحته وغرّقته وخرّجته وفهّمته؛ فنقلت الفعل من اللزوم إلى التعدّي قال سيبويه: "وقد يجيء فعّلت فيشرك

(1) يذكر أبو أوس إبراهيم الشمسان في كتابه "الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه نقلًا عن "الكتاب": "ولديهم معانٍ ليست لدينا، من ذلك: التعريض: أقتلته: أي عرّضته للقتل ويمكن ردّ هذا إلى الجعل أي جعلته يقتل، ويمكن القول جعلته عرضة للقتل". [الشمسان، الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه ص728].

(2) انظر الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، (ص 45 ـــ 47).

(3) انظر الشمسان، الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه (ص 728 ـــ 729).

(4) ابن الأثير، المثل السائر (ج2، ص 279).

أفعلت... وذلك قولك: فرح وفرّحته وإن شئت قلت أفرحته: وغرم وغرّمته وأغرمته إن شئت كما تقول: فزّعته وأفزغته، وتقول: ملح وملّحته؛ وسمعنا من العرب من يقول: أملحته.."[1]، وقال ابن قتيبة: "تأتي فعّلت بمعنى أفعلت كقولك: خبّرت وأخبرت وسمّيت وأسميت وبكّرت وأبكرت وكذّبت وأكذبت[2]، وقد فرّق الكسائي بين (كذّبت وأكذبت) في المعنى إذ يقول: "والعرب تقول: أكذبت الرجل" إذا أخبرت أن جاء بالكذب ورواه وتقول: (كذّبته) إذا أخبرت أنه كاذب وبعضهم يجعلها جميعًا بمعنى[3]. وقال الزمخشري: "للتعدية أسباب ثلاثة: وهي الهمزة وتثقيل الحشو وحرف الجر، تتصل ثلاثتها بغير المتعدي، فتصير متعدّيًا وبالمتعدي إلى مفعول واحد فتصيّره ذا مفعولين، نحو قولك: أذهبته وفرّحته وخرجت به"[4]، وثانيهما: السلب والإزالة، كجرّبت البعير وقشّرت الفاكهة، أي أزلت جربه، وأزلت قشره، وهي دلالة من دلالات التضعيف يستعمل فيها الفعل خلافًا لظاهره أو عكس ظاهره، فقد أشار سيبويه على هذا المعنى بقوله: "أمرضته: أي جعلته مريضًا، ومرّضته: أي قمت عليه ووليته ومثله: أقذيت عينه: أي جعلتها قذية، وقذيتها: نظفتها"[5].

وتنفرد بمعانٍ منها: التكثير في الفعل[6]، ومن النحويين من سمّاه: المبالغة[7]، كجوّل وطوّف: أكثر الجولان والطوفان، أو في المفعول، كـ ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: 23] أو في الفاعل، كموّتت الإبل وبرّكت. أو التكرار؛ فنجد نوع الحدث في هذه الصيغة قد قصده أو تعمّده فاعله، فيكون تأثيره في المفعول واضحًا، كقولنا: كسّر محمد الشباك، نلاحظ تعمّد محمّد الكسر فكانت النتيجة تحطيم الشباك كاملًا لكثرة تكرار الكسر فيه موازنة بالفعل (كسَر) ففيه احتمالان: إمّا أن يكون الفعل حدث عفوًا أو متعمدًا، وقد بيّن ابن جني ذلك بقوله: ومن ذلك أنّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل، فقالوا:كسّر وقطّع وفتّح وغلّق وذلك أنّهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل[8]. ومنها صيرورة شيء بنسبة شيء: كقوّس زيد، وحجّر الطين، أي صار شبه القوس في الانحناء والحجر في الجمود، أو ما سمّي الجعل نحو صفّره جعله أصفر: وردّنت القميص أي جعلت له أردانًا. و نسبة الشيء إلى أصل الفعل، كعدّلت فلانًا، أي نسبته إلى العدل، و فسّقت زيدًا، أو كفّرته: نسبته إلى الفسق، أو الكفر. والتوجّه إلى الشيء، كشرّقت أو غرّبت: توجّهت إلى الشرق، أو الغرب. والإيجاب، نحو: علّمته، وقدّمته، وأخّرته أي أوصلت هذه الأشياء إليه[9]. و اختصار حكاية الشيء، كهلّل وسبّح ولبّى وأمّن: إذا قال: لا إله إلا الله، وسبحان الله، ولبّيك، وآمين. و قبول الشيء، كشفّعت زيدًا: قبلت شفاعته. وربّما ورد بمعنى أصله، مثل قولك: قدّر الله وقدر، أو بمعنى تفعّل، كولّى وتولّى، وفكّر وتفكّر، وربّما أغنى عن أصله لعدم وروده، كعيّره إذا عابه، وعجّزت المرأة: بلغت السن العالية، والقيام على شخص فتقول: مرّضته أو إتيانه في الوقت المشتق منه الفعل فتقول: صبّحته، أي أتيته صباحًا[10]. وهو ما عرف عند بعض الصرفيّين بالحينونة. و تفيد معنى استقبال الشيء إلى صفة معيّنة، كحيّيته أي: استقبلته بحيّاك الله، وتكون ـــــ فعّل ـــــ بمعنى فعل، نحو قلّص وقلص، وقصّر من الصلاة، وقصر، وتكون

(1) سيبويه، الكتاب (ج4، ص 55).
(2) الدينوري، أدب الكاتب (ص 354).
(3) نفسه (ص 274).
(4) الزمخشري، المفصّل (ص 257).
(5) سيبويه، الكتاب (ج4، ص 62).
(6) قال الأستراباذيّ: إنّ التكثير يكون في المتعدّي كما في: غلّق وقطّع، وقد يكون في اللازم، كما في جوّل وطوّف وموّت، من جول وطاف ومات، وهي أفعال لازمة. [الأستراباذي، شرح الشافية ج1، ص 93].
(7) انظر الشمسان، الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه (ص 729).
(8) انظر ابن جني، الخصائص (ج2، ص 157).
(9) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب (ج1، ص 39).
(10) انظر الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف (ص 49، 50)، والشمسان، الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه (ص 729)، وحميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، دراسة صرفيّة دلاليّة (ص 42 – 51).

بمعنى فاعل: يقال: ضاعفت الشيء وضعّفته. وبمعنى تفعّل، وما يكون مجاوزًا لها، وهو ما يُعرف بالمطاوعة نحو: كسّرته فتكسّر، أو مطاوعًا لصيغة انفعل نحو: كسّرته فانكسر أو تكون بمعنى الحضور في شيء مثل: جمّع، ووسّم أي: حضر الجمعة والموسم، وبمعنى الاعتقاد نحو: وحّدت الله، وقدّسته: أي اعتقدت أنّه واحد، أو معنى الحمل، نحو: حفّظه الكتاب، أي: حمله على الحفظ أو معنى التكريه في الشيء أو تحبيبه نحو كرّه وحبّب[1].

وقد تجيء فَعّلَ وأفعَلَ بمعنى واحد. **قلتُ:** من المعاني التي تشترك فيها صيغتا (أَفْعَلَ) و(فَعّلَ) – كذلك – الدعاء، نحو: أسقيته أي دعوت له بالسقيا قال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ

والأكثر في باب الدعاء: فعّل، نحو: جدّعه وعقّره؛ أي قال: جدعه الله وعقره[2]، وقد تفيد معنى مضادًّا لمعنى أفعل: مثل: علّمته وأعلمته، فعلّمتُ: أَدَّبْتُ، وأعلمت: أذّنت، وأذّنت: أعلمت؛ وأذّنت: النداء والتصويت بإعلان. وبعض العرب تجري أذّنت مجرى سمّيت وأسميت". ونحو قولنا: فرّطت أي قصّرت، و(أفرطت) بمعنى جزت الحدّ.

* * *

المطلب الرابع

أَفْعَلَ وفَعَّلَ (الفعليّتان) في القرآن الكريم

عند دراسة الصيغ الصّرفيّة لمفردات القرآن الكريم، وتتبّع أوزانها يجد الباحث مفرداتٍ ذات أوزان مختلفة تتعدّد أصولها (جذورها)، وأُخرى أوزانها متشابهة وأصولها مختلفة، وثالثة تختلف في أوزانها لكنّها تشترك في أصلٍ (جذرٍ) لُغويّ واحد، ومن تلك الصيغ الأخيرة صيغتا أَفْعَلَ وفَعّلَ اللتان يجمعهما أصلٌ لغويٌّ واحد؛ وهذا لا يعني – بطبيعة الحال – أنّ كلّ كلمة في القرآن الكريم على وزن أَفْعَلَ لها نظيرٌ من وزن فَعّلَ، وتشترك معها في الجذر، لكنّ بعضًا من تلك الصيغ التي جاءت على وزن أَفْعَلَ لها نظير على وزن فَعّلَ، واشتركت معها في جذر لغويّ واحد، وهذه هي المقصودة في هذه الدراسة بالبحث.

ولمّا تتبّع الباحث هذه الكلمات (الأفعال فقط) على وزن أَفْعَلَ وفَعّلَ من جذر لغويّ واحد وجدها أربعةً وعشرين زوجًا من الكلمات (الأفعال) على وزن أَفْعَلَ ووزن فَعّلَ وردت بالأزمنة الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر)، هي:

آذن وأذّن – أبدل وبدّل – أبصر وبصّر – أبان وبيّن – أثبت وثبّت – أثاب وثوّب – أحبّ وحبّب – أحدث وحدّث – أعظم وعظّم – أكبر وكبّر – أكرم وكرّم – أكره وكرّه – أكفر وكفّر – ألقى ولقّى – أمسك ومسّك – أمكن ومكّن – أمهل ومهّل – أنبأ ونبّأ – أنجى ونجّى – أنزل ونزّل – أنشأ ونشّأ – أنكر ونكّر – أوصى ووصّى – أوفى ووفّى.

ووجد الباحث أنّ من أزواج هذه الأفعال ما يمكن أن يتناوب في سياق لغويّ واحد، ومنها ما لا يُمكن أن تنوب فيه كلمة عن أُخرى في السياق نفسه؛ لأنّ كلًّا منها يحمل معنًى مختلفًا، وهذا لا يعني – بحالٍ – أنّ الكلمات التي يُمكن أن تنوب عن الأُخرى في سياق واحد مترادفة تمامًا في معناها، بل إنّها يُمكن أن تعطيَ معنًى متقاربًا لا متماثلًا.

وسيأتي الحديث في المبحثين الرئيسَيْن من هذه الدراسة عن أَفْعَلَ وفَعّلَ (الفعليّتَيْن) اللتين تتناوبان في سياقاتهما، وأفعَلَ وفَعّلَ (الفعليّتيْن) اللتَيْن تتنافران في سياقاتهما – كلٌّ على حدة – مع شيءٍ من التفصيل في بعض أمثلتهما.

(1) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، دراسة صرفيّة دلاليّة (ص42 ـــ 51).

(2) انظر الأستراباذي، شرح الشافية (ج1، ص91 ـــ 92)، والشمسان، الفعل في القرآن الكريم، تعدّيه ولزومه (ص729).

المبحث الأوّل

أَفْعَلَ وفَعَّلَ (الفعليّتان) المتناوبتان في القرآن الكريم

سبقَ القول إنّ عددَ الأفعال التي تشترك بالجذر نفسه على وزن (أَفْعَلَ وفَعَّلَ) في القرآن الكريم أربعةٌ وعشرون زوجًا من الأفعال تقدّم ذكْرها، منها أزواجٌ تتناوب في معانيها، ومنها – أُخرى – لا ينوب أحدها عن الآخر في السياق اللغويّ الواحد؛ لاختلاف المعنى تمامًا. وأمّا الأفعال التي تتناوب في معانيها في سياقاتها اللغويّة – مع قدْرٍ من الاختلاف – فهي: أبدل وبدّل – أبصر وبصّر – أبان وبيّن – أثبت وثبّت – أثاب وثوّب – أعظم وعظّم – أكرم وكرّم – أمسك ومسّك – أمهل ومهّل – أنبأ ونبّأ – أنجى ونجّى – أنزل ونزّل – أنشأ ونشّأ – أوصى ووصّى – أوفى ووفّى. وفي هذا المبحث سيُكتفي بالتفصيل في بعض تلك الأفعال توضيحًا للمقصود؛ حيث سيُبحث في زوجي الفعلين من صيغتَي أَفْعَلَ وفَعَّلَ من الجذر نفسه وعدد مرّات ورودهما في القرآن الكريم ثمّ يُبحث في تناوبهما في السياقات المختلفة في تلك المواضع.

وأمّا الأمثلة التي اختارها الباحث منها فهي: (أبدل وبدّل – أبان وبيّن – أعظم وعظّم) موضّحةً كما يأتي:

أبدل وبدّل في القرآن الكريم:

- الفعل (أبدل):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ثلاث مرّات، كلّــها بصيغة المضارع؛ الأولى في آية [الكهف: 81]؛ قوله تعالى: ﴿**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ والثانية في آية [التحريم: 5]؛ قوله تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**﴾، والثالثة في آية [القلم: 32]؛ قوله تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾. وهو فعلٌ سالمٌ مزيدٌ بالهمزة في أوّله، ولا يعتريه أي تغيير عند الإسناد للضمائر[1]. ومعنى الإبدال في هذه المواضع جميعها جعل شيء مكان شيء آخر[2]؛ فمعناه في "الكهف": يبدلنا ولدًا آخر خيرًا منه، وفي [التحريم]: يبدله أزواجًا غيركنّ، وفي "القلم": إنّ أهل الجنة يرجون أن يبدلهم الله خيرًا من جنّتهم التي احترقت.

- الفعل (بدّل):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ثلاثًا وعشرين مرّة، بصيغة الماضي والمضارع و الأمر. وعبّر عن معانٍ متعدّدة في هذه المواضع، أهمّها التغيير؛ فبدّل مصدره التبديل، والتبديل هو التغيير[3].

وقد تحدّثت الآيات الكريمة عن التغيير في عدّة موضوعات، منها: تغيير الوصيّة، وتغيير الحالة السيئة إلى الحالة الحسنة، وتغيير الحرام حلالًا والحلال حرامًا، وتغيير الحال من الخوف إلى الأمن، وتغيير جلود أهل النار، وغيرها...

ومن الآيات التي استعملت "أبدل" في هذا المجال، بصيغتي الماضي والمضارع، آية [البقرة: 181]؛ قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾، وقد ورد الفعل فيها مرّتين، بصيغتي الماضي والمضارع، و آية [الأعراف: 95]؛ قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ**﴾، بصيغة الماضي، و آية [يونس: 15]؛ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾، بصيغتي الأمر والمضارع، وآية [إبراهيم: 28]؛ قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ بصيغة الماضي، ومن السورة نفسها:[الآية 48]؛ قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾ بصيغة المضارع المبنيّ للمجهول، وآية [النور: 55]؛ قوله تعالى:

---

(1) انظر حمارشة، صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم، (ص 34).

(2) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج11، ص 48 ـــ 49)، والجوهري، الصحاح (ج1، ص 35)، والنعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج11، ص5).

(3) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج11، ص 48 ـــ 49).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ بصيغة المضارع المؤكّد بنون التوكيد الثقيلة، والمضاف إلى ضمير الجماعة (هم)، وآية [النّساء: 56]؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

بصيغة الماضي.

وقد ورد الفعل بمعانٍ أخرى؛ منها: عدم الائتمار بالأمر، في آية [البقرة: 59]؛ قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، ومعنى الغفران في آية [الفرقان: 70]؛ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾. والإهلاك، في آية [المعارج: 41]؛ قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ والتحريف، في آية [البقرة: 211]؛ قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والنسخ، في آية [النحل: 101]؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والانتقام، في آية [سبأ: 16]؛ قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [(1)].

- التناوب في (أبدل و بدّل):

يصحّ التناوب بين هذين الفعلين؛ لما لهما من معنى قريب إن لم يكن متطابقًا في بعض الأحيان؛ فقد ورد في معناهما ما لا يفرّق بينهما من حيث الفرع، ولكنّ الأصل فيهما يختلف كما جاء في لسان العرب: أَبْدَل الشيءَ من الشيء وبَدّله تَخِذَه منه بدلًا، وتبديل الشيء: تغييره، واستبدل الشيء بغيره وتبدّله به إذا أَخذه مكانه، والعرب تقول للّذي يبيع كل شيء من المأْكولات بَدّال، وبَدّل الشيءَ حَرّفه[(2)]... لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه دائمًا هو: لماذا تختلف صيغة الفعل ووزنه من آية إلى أخرى؟

إنّ ممّا عرفناه من معنًى لهاتين الكلمتين يوضّح لنا أنّ السياق يحكم في الإجابة عن هذا التساؤل إلى حدّ ما، بيد أنّ هذا التساؤل يبقى قائمًا عندما نقرأ في قول بعض المفسّرين: إنّ المواضع الثلاثة التي جاءت بصيغة (أبدل) قرئت كذلك بالتشديد (بدّل)؛ فقد قال الزمخشريّ في تفسيره للآية الحادية والثمانين من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: "وقرئ: (يبدّلهما) بالتشديد"[(3)]، وقال الزمخشريّ أيضًا في تفسيره للآية الخامسة من سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: "قرئ: (يبدله)، بالتخفيف والتشديد للكثرة"[(4)]، وفي معرض تفسير الألوسي للآية نفسها يقول: "وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير (يبدّله) بالتشديد للتكثير"[(5)]، أمّا في الموضع الثالث في الآية الثانية والثلاثين من سورة القلم في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ فيقول الزمخشريّ: "أَن يبدلنا قرئ بالتشديد والتخفيف"[(6)].

من قراءتنا لأقوال هؤلاء المفسّرين نجد أنّه تجوز الصيغتان في تلكم المواضع، لكنْ بالنظر إلى سياق كلّ منها على حدة نجد أنّ فيها ما يدلّل على أنّ الصيغة الأولى المخفّفة (أبدل) هي المغلّبة على تلك؛ ففي آية الكهف الحادية والثمانين سابقة الذكر؛ أراد الله تعالى أن يبدل الأبوين ابنًا خيرًا من ابنهما، وهذا الأمر يكون لمرّة واحدة فقط، فاستعمال الصيغة المخفّفة أولى من الصيغة المشدّدة في هذا الموضع، وكذا في آية التحريم الخامسة، الأغلب أنْ يكون الإبدال دفعة واحدة لكلّ الأزواج، وهذا ما يؤكّده

(1) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، (ص 197 ـــ 205).
(2) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج11، ص 48 ـــ 49).
(3) انظر الزمخشري، الكشّاف (ج4، ص45).
(4) نفسه (ج7، ص92).
(5) انظر الألوسي، روح المعاني، (ج21، ص99).
(6) انظر الزمخشري، الكشاف (ج7، ص121).

الألوسي بقوله: "وجوّز أن يكون الخطاب للجميع على التغليب"[1] وهذا يرجّح (أبدل) على ما فيها من تخفيف، أمّا في آية "القلم" الثانية والثلاثين فيرجو هؤلاء القوم من الله سبحانه إبدالهم بجنّتهم جنّة طيّبة غيرها على وجه السرعة مرّة واحدة (وليس على مراحل) الأمر الذي قد يوحيه استعمال الصيغة المشدّدة (بدّل).

إنّ المواضع الثلاثة الآنفة الذكر صحّ فيها الصيغتان، ورجّحت صيغة على الأخرى كما سلف، لكنّ المواضع الواحدة والعشرين التي ورد فيها الفعل بصيغة التشديد (بدّل) لم يرد في واحدة منها أنّه استعمل مكانها الأولى بدلًا منها، وذلك لما تحمله هذه الكلمة من تشديد وتغليظ لا يصلح معه التساهل أو التسامح أو التخفيف؛ وهذا ما يؤكّده ابن كثير في تفسير الآية التاسعة والخمسين من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ من معصية بني إسرائيل للأمر الذي أمرهم الله به وتبديله إلى غيره فيقول: "وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة"[2]؛ فاستعمال (بدّل) بما فيه من شدّة يناسب ما فعله هؤلاء من معصية لله جلّ في علاه، وهذا ما ينطبق تمامًا على الآية الحادية عشرة بعد المئتين من السورة نفسها؛ قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

وكان ذلك واضحًا في الآية السادسة والخمسين من سورة النساء؛ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾؛ فالألم الذي يحسّ به من يتغيّر جلده يقتضي استعمال صيغة فيها نوع من الشدّة اللفظيّة التي تخلّف وراءها شدّة معنويّة تعكس وضع هذا الشخص وتأثّر القارئ للقرآن أو السامع له، وما يؤكّد حتميّة استعمال الصيغة هذه دون الأخرى ما سبق تبيينه من معنى لغويّ لكلمة (بدّل) من تغيير الصورة إلى صورة أُخرى.

وفي بعض المواضع الأخرى جاءت صيغة (بدّل) الشديدة النطق لتدلّ على عظمة الموقف وهَوله، ويتّضح ذلك من الآية الثامنة والأربعين من سورة إبراهيم، قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾؛ فالحديث هنا عن أهوال يوم القيامة تلك الحوادث المهولة لا يمكن أن يستخدم معها صيغة مخفّفة.

ثمّ من المُلاحظ كذلك في استعمال هذه الصيغة في مواضع تتحدّث عن التغيير في النفس. ومن المعروف أنّ ذلك ليس بالأمر السهل؛ فاقتضى استعمال هذه الصيغة التي تحمل معنى التدرّج والتغيّر غير المفاجئ كما في الآية الحادية عشرة من سورة النمل، قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾؛ فالانتقال من الحُسن إلى السوء صعب على النفس، والثبات على فضيلة في النفس وعدم تغييرها مع وجود ما يدعو لذلك من أسباب الضغط وغيره كذلك ليس بالأمر السهل، كما يبين ذلك في الآية الثالثة والعشرين من سورة الأحزاب، قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ ؛ فاقتضى الثبات على صدق ما عاهدوا الله عليه استعمال هذه الصيغة المشدّدة.

ويظهر استعمال (بدّل) في المواضع المحتوية على ثبات في الموقف من الصعب تبديله ومنه قوله تعالى في الآية التاسعة والعشرين من سورة (ق): ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾.

أبان وبيّن في القرآن الكريم:

- الفعل (أبان):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مرّة واحدة فقط، بصيغة المضارع؛ في آية [الزخرف: 52]؛ قوله تعالى: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾، وهذا الفعل يأتي لازمًا ومتعدّيًا. وتقول: أبان الشيء: إذا وضح وظهر، وأَبَنْتُ الشيءَ:

(1) انظر الألوسي، روح المعاني، (ج21، ص99).

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج1، ص277).

أوضحته وأظهرته[1]؛ فهو متعدّ ولازم، وقد جاء في الآية الكريمة هذه متعدّيًا. ومعناه: ولا يكاد يـُبين كلامه: أي يظهره؛ لأنّه كان في لسان موسى – عليه السلام – عقدة، تمنعه بعض الإيضاح، ولكن الله حلّ عقدته حين سأله ذلك.

- الفعل (بيّن):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم خمسًا وثلاثين مرّة، بصيغتي الماضي والمضارع. وعبّر عن معانٍ عديدة في هذه المواضع؛ منها: توضيح الله – عزّ وجلّ – الآيات للناس: في مواضع تسعة؛ في [البقرة: 187]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ و[219]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾، و[221]؛ قوله تعالى: ﴿**وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾، و[230]؛ قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾، و[242]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، و[266]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾، و[آل عمران: 103]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾، و[النور: 61]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، و[الحديد: 17]؛ قوله تعالى: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، ومن المعاني – كذلك – : توضيح الله تعالى الآيات للمؤمنين؛ في خمسة مواضع، في [البقرة: 118]؛ قوله تعالى: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، و[المائدة: 89]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، و[الأنعام: 105]؛ قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾، و[التوبة: 115]؛ قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، و[النحل: 39]؛ قوله تعالى: ﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**﴾، ومنها: بيان الحقيقة؛ في آية [البقرة: 68]؛ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾، وبيان اللون؛ في آية [البقرة: 69]؛ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾، وبيان الحال؛ في آية [البقرة: 70]؛ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ**﴾، وتوضيح الله عزّ وجلّ الآيات لبني إسرائيل؛ في آية [البقرة: 159]؛ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾، وبيان التوبة، في آية [البقرة: 160]؛ قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾، وتحذير الله تعالى عباده المؤمنين من مكر اليهود، في آية [آل عمران: 118]؛ قوله تعالى: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، وتوضيح صدق نبوّة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم في آية [آل عمران: 187]؛ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾، والاتّعاظ بالأنبياء والصالحين، في آية [النساء: 26]؛ قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، وتقسيم الميراث، في آية [النساء: 176]؛ قوله تعالى: ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، ودَوْر الرسول صلّى الله عليه وسلّم في كشف خفايا بني إسرائيل، في آية [المائدة: 15]؛ قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾، ودَور الرسول صلّى الله عليه وسلّم في توضيح شريعة الإسلام لأهل الكتاب الذين أنكروا الرسل، في آية [المائدة: 19]؛ قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وتفنيد ربوبيّة عيسى – عليه السلام – ووالدته مريم عليها السلام، في آية [المائدة: 75]؛ قوله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾، ودَوْر الرسل في توضيح الآيات لأقوامهم بخاصّة، في آية [إبراهيم: 4]؛ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ ودَوْر الرسول صلّى الله عليه

(1) انظر الفراهيدي، كتاب العين (ج8، ص381)، وابن منظور، لسان العرب (ج13، ص 62 ـــ 70)، والجوهري، الصحاح في اللغة (ج1، ص60)، والنعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج5، ص 87).

وسلّم في دعوة الناس عامّة في آيتي [النحل: 44]؛ قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، و[64]؛ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾، وتحذير عامّة الناس، في آية [النحل: 92]؛ قوله تعالى: ﴿**وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾، وبيان قدرة الله تعالى في الخلق في آية [الحجّ: 5]؛ قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾، وتوضيح شرائع الله تعالى للمسلمين، في [النور: 18]؛ قوله تعالى: ﴿**وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، وتعليم الآداب العامّة في آية [النور: 58]؛ قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، وتعليم الآداب العامّة للأطفال ممّن بلغ الحلم في [النور: 59]؛ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، ومَهَمّة النبيّ عيسى – عليه السلام – في تبيان ما اختلف اليهود فيه في التوراة في آية [الزخرف: 63]؛ قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[1].

- التناوب في (أبان وبيّن):

لم تستعمل صيغة: (أَفْعَلَ: أَبَانَ) في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة في آية [الزخرف: الثانية والخمسين] – كما سبق– في حين أنّ صيغة (فَعَّلَ: بيّن) وردت في تسعة وعشرين موضعًا في القرآن الكريم، مع أنّ كلتا الصيغتين تحملان معنى متقاربًا إلى حدّ كبير، ولا يختلّ المعنى العامّ إذا استعملت صيغة منهما مكان الأخرى، فلو قلنا: (ولا يكاد يُبَيـــــنُ) بدلًا من: (ولا يكاد يُبِيـــــنُ) في هذه الآية، لنفع ذلك، ولما خرج المراد من الآية عن مجراه الذي أريد منه؛ إذ (يُبِيـــــنُ): "يُـفْـهِـمُ"[2]، "و(أبان) أفصح"[3]، و(يُبَيّن) بالمعنى نفسه؛ فبانَ الشيءُ بَيانًا اتّضَح فهو بَيِّنٌ والجمع أَبْيناءُ، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبينٌ، وأَبَنْتُه أي أَوْضَحْتُه واستَبانَ الشيءُ: ظَهَر، وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر، وقالوا بانَ الشيءُ واستَبانَ وتَبيَّن وأَبانَ وبَيَّنَ بمعنى واحد[4]. ولو قلنا: (ويُبِيـــــنُ آياته للنّاس) بدلًا من (يُبَيـــــنُ) في آية [البقرة: 221] لظلّ المراد هو إيّاه كذلك دون تغيير؛ إذ (يُبَيـــــنها) ويـُبينها بمعنى كما ذُكر.

لكنّ المتمعّن في هذه الآيات الكريمة يرى فروقًا بين استعمال الصيغة الأولى والصيغة الثانية، فيعرف أنّ الأولى استعملت للتعميم، واستعملت الثانية للتخصيص، والأمثلة توضّح ذلك؛ فقوله تعالى: (يُبِيـــــنُ): يعني أيّ شيء، ولم يخصّص شيئًا بعينه، ولو قال: (يُبَيـــــنُ) لانتظر السامع أو القارئ شيئًا مخصوصًا يبيّنه، وكذا يعود استعمال (فعّل) في المواضع التسعة والعشرين الآنفة الذكر لطبيعة موضوعات تلك الآيات الكريمة؛ ففي معظمها كان الأمر متعلّقًا بتبيين الآيات للنّاس وليس بيانها؛ لما فيها من أحكام يرتقي استعمال الصيغة المشدّدة لاستيفاء معناها؛ فالله تعالى نزّلها بيّنة بأن جعلها كذلك في أنفسها[5]، واستعمال (بيّن) المشدّدة في آية [البقرة: 160]؛ قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾، يدلّ على شدّة تمسك أولئك الذين آمنوا بتوبتهم "فأظهروا ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم"[6]، وكذا استعمال الصيغة المشدّدة لتأكيد المعنى، بتضمّنه معنى القسم[7]، كما في آية [آل عمران: 187]؛ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ**

(1) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، (ص 83 ـــ 89).
(2) الماوردي، النكت والعيون (ج4، ص 88).
(3) السعدي، كتاب الأفعال (ج1، ص102)، وانظر الأحمدي، معجم الأفعال المتعدية بحرف (ج1، ص165).
(4) انظر الفراهيدي، كتاب العين (ج8، ص381)، وابن منظور، لسان العرب (ج13، ص62 ـــ 70)، والجوهري، الصحاح في اللغة (ج1، ص60)، والنعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج5، ص87).
(5) انظر الألوسي، روح المعاني، (ج1، ص486).
(6) انظر الألوسي، روح المعاني، (ج2، ص77).
(7) نفسه (ج3، ص352).

﴿أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، والضمير للكتاب أي بالله لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار"[1]، وقال الزمخشريّ: "أكّد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه"[2]. وفي هذه المواضع إذن لا تستوفي الصيغة المخفّفة المعاني المرادة منها.

أعظم وعظّم في القرآن الكريم:

- الفعل (أعظم):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مرّة واحدة فقط، بصيغة المضارع؛ في آية [الطلاق: 5]؛ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾، وهو فعل متعدّ، مسند إلى ضمير الغائب، ومعناه في هذه الآية الكريمة: أعظم الأمر فهو معظم: صار عظيمًا[3].

- الفعل (عظّم):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مرّتين فقط؛ بصيغة المضارع؛ في آيتي [الحجّ: 30]؛ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، و[32]؛ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. ودلّت اللفظتان في موضعَيهما على احترام التكليفات جميعها من مناسك الحجّ وغيرها وتقديم هدايا الحجّ. والاعتقاد أنّ طاعة الله تعالى في التقرّب بالشعائر وإهدائها إلى بيت الله المعظــّم لا بدّ من أن يحتفل به ويتسارع فيه، وتعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب[4]. والتضعيف في الفعل بصيغة المضارعة يفيد التكثير والاستمرار؛ فالقلوب التقيّة مستمرة على شعائر الله والعمل بها ومراعاتها، بل تزيد العمل بها؛ لأنّ القلوب بمرور الزمن تزداد وتقوى[5].

- التناوب في (أعظم وعظّم):

يظهر تناوب الفعلين صحيحًا بالقراءة العامّة لهما، لكنّ فروقًا دقيقة بينهما تُحتّم استعمال كلٍّ منهما في موضعه؛ فلو أنعمنا النظر في موضوع الآية الخامسة من سورة الطلاق المستعملة صيغة (أَعْظَمَ) لوجدنا أنّ السياق فيها لا يقتضي استعمال صيغة (فَعّلَ)؛ لأنّ إعظام الأجر، وإكثاره ليس كتعظيم الشعائر والحرمات ـــــ الذي تحدّثت عنه الآيتان الأخريان ـــــ وهي من باب "أعظم الأمر فهو معظم: صار عظيمًا"[6]؛ ولذلك جاءت الصيغة مناسبة لما جاء من موضوع هذه الآية الكريمة.

وقد قُرئت الآية – كذلك – بالتشديد: (عظّم)، لكنّ تخفيفها أولى لما وضح من كلام ابن منظور السابق من معنى كلمة إعظام.

ولكنّ الضدّ ليس صحيحًا، فلم تقرأ آيتا (الحجّ) الثلاثون والثانية والثلاثون بالتخفيف؛ لأنّهما متعلّقتان بحرمات الله، وحرمات الله تعظّم ولا تُعْظَم، وهي من باب "اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة"[7]، وليس من باب "صار عظيمًا"[8]، وحاشا لله ذلك؛ فالله عظيم

(1) نفسه (ج3، ص352).
(2) انظر الزمخشري، الكشاف (ج1، ص359).
(3) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج12، ص409 ـــ 411).
(4) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17، ص257).
(5) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، (ص 104).
(6) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج12، ص409 ـــ 411).
(7) نفسه.
(8) نفسه.

جلّ شأنه "وعظمة الله سبحانه لا تكيّف ولا تحدّ ولا تمثّل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنّه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفيّة ولا تحديد"[1]، "ومعنى التعظيم: العلم بأنّها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها"[2]، "والتعظيم التبجيل"[3].

ومستلزمات تعظيم حرمات الله كثيرة؛ فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – هي جميع المناهي في الحجّ من فسوق وجدال وجماع وصيد، وتعظيمها أن لا يحوم حولها[4]، ولذلك استُوجب استعمالُ صيغة (فَعَّلَ) وليس صيغة (أَفْعَلَ) لما فيها من تعظيم وتشديد.

أمّا في آية (الحجّ) الثانية والثلاثين؛ فقد يختلف معنى الشعائر وبذلك يستوجب استعمال صيغة (عَظَّمَ) وليس (أَعْظَمَ)؛ لاختلاف المعنى؛ فقد جاء في تفسير الألوسي لهذه الآية: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾: أي البدن الهدايا كما روي عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وهي جمع شعيرة أو شعارة بمعنى العلامة كالشعار، وأطلقت على البدن الهدايا؛ لأنّها من معالم الحجّ أو علامات طاعته تعالى وهدايته[5]، فعن ابن عباس: تعظيمها: استسمانها واستحسانها[6]، فنقول عظّمها: استسمنها واستحسنها وليس أعظمها.

* * *

المبحث الثاني

أَفْعَلَ وفَعَّلَ (الفعليّتان) المتنافرتان في القرآن الكريم

تناول الباحث في المبحث السابق الحديث عن بعضٍ من الأفعال التي يجوز تناوبهما في سياقاتها اللغويّة، مع احتمال وجود اختلاف يحتّم استعمال فعلٍ دون الآخر في السياق اللغويّ القرآنيّ، لكنّ التناوب يبقى مُمكنًا، وفي هذا المبحث سيتناول البحث في أزواج تلك الأفعال التي لا ينفع تناوبها بحالٍ في سياقاتها اللغويّة؛ ذلك أنّ معناها مختلفٌ تمامًا مع أنّها من أصل لغويّ واحد، وهذه الأفعال هي: آذن وأذّن – أحبّ وحبّب – أحدث وحدّث – أكبر وكبّر – أكره وكرّه – أكفر وكفّر – ألقى ولقّى – أمكن ومكّن – أنكر ونكّر.

وكما في المبحث السابق فسيُكتفى بالتفصيل في بعض تلك الأفعال توضيحًا للمقصود؛ حيث سيُبحث في زوجي الفعلين من صيغتَي أَفْعَلَ وفَعَّلَ من الجذر نفسه، وعدد مرّات ورودهما في القرآن الكريم، ثمّ يُبحث في تنافرهما في السياقات المختلفة في تلك المواضع.

وأمّا الأمثلة التي اختارها الباحث منها فهي: (أنكر ونكّر – أحدث وحدّث – أكبر وكبّر) موضّحةً كما يأتي:

أنكر ونكّر في القرآن الكريم:

- الفعل (أنكر):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ثلاث مرّات، بصيغة المضارع فقط؛ في آيات [غافر: 81]، قوله تعالى: ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**﴾، و[النحل: 83]؛ قوله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، و[الرّعد: 36]؛ قوله

(1) نفسه.

(2) انظر الزمخشري، الكشّاف، سورة الحجّ الآية (30).

(3) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج12، ص409 ـــ 411).

(4) وعن ابن زيد هي خمس: المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام. [انظر الألوسي، روح المعاني: الحجّ 30].

(5) انظر الألوسي، روح المعاني: [الحجّ :30].

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، [الحجّ :32].

تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾، ومعنى الفعل (أنكر) في هذه الآيات الكريمة الثلاث موضعِ الدرس: جحد[1]، وهو بالمعنى الثلاثيّ اللازم.

- الفعل (نكّر):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مرّة واحدة فقط؛ بصيغة الأمر المبنيّ للمعلوم في آية [النمل: 41]؛ قوله تعالى: ﴿**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ**﴾، ودلّل اللفظ فيها على التغيير؛ وهو تغيير عرش مملكة سبأ، وتنكير العرش حصل بزيادة فيه ونقص[2]، وقيل: جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه[3]. وقيل غير ذلك. وصيغة الأمر في الفعل (نكّروا) وهو طلب بشدّة أفاد سعة التغيير مع سرعة التنفيذ[4].

- التنافر في (أنكر و نكّر):

إنّ الاستعمال اللغويّ لكلتا الكلمتين يحمل دلالتين مختلفتين، تفسّر كلّ واحدة منها سبب الاستعمال في المواضع التي جاءت فيها؛ فأنكر من الإنكار وهو الجحود، ونكّر من التنكير وهو التغيير، وفي المعجم: "والإنكار: الجحود، والنَكَرة بالتحريك: الاسم من الإنكار، كالنفقة من الإنفاق، والنكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة، ونكِر الأمر نكيرًا وأنكره إنكارًا ونكرًا: جهله. الجوهري: نكِرت الرجل بالكسر نكرًا ونكورًا وأنكرته واستنكرته كله بمعنى. ابن سيده واستنكره وتناكره كلاهما كنكره، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر وهو ضدّ المعروف، وكلّ ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرِهَهُ فهو منكر، والتنكر التغير ... عن حال تسرك إلى حال تكرهها منه، والنكير: اسم الإنكار الذي معناه التغيير، وقد نكّره فتنكّر، أي غيّره فتغيّر إلى مجهول"[5].

والسؤال: هل الصيغتان متنافرتان في الاستعمال؟ ويجيب عن هذا دائمًا السياق؛ ففي آية (الرعد) السادسة والثلاثين: ﴿**مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ**﴾ "أي: ومن الطوائف من يكذّب ببعض ما أنزل إليك"[6]. وفي آية (النحل) الثالثة والثمانين كذلك: "وينكرونها بترك الشكر عليها"[7]، وآية (غافر) الحادية والثمانون: جاءت الصيغة فيها بمعنى الإنكار: (التكذيب) لا التنكير (التغيير)، وأمّا في آية (النمل) الحادية والأربعين؛ فجاءت الصيغة بمعنى التنكير (التغيير) لا الإنكار (التكذيب) "نَكِّرُوا: اجعلوه متنكّرًا متغيّرًا عن هيئته وشكله، كما يتنكّر الرجل للناس لئلّا يعرفوه"[8]، و"قال ابن عباس: نزع عنه فصوصه ومرافقه، وقال مجاهد: أمر به فغيّر ما كان أحمر جعل أصفر، وما كان أصفر جعل أحمر، وما كان أخضر جعل أحمر، غُيّر كل شيء عن حاله، وقال عكرمة: زادوا فيه ونقّصوا"[9]؛ فالفعل إذًا مختلف؛ ولذلك اقتضى هذا الاستعمال.

أحدثَ وحدَّثَ في القرآن الكريم:

- الفعل (أحدث):

(1) انظر الجوهري، الصحاح في اللغة (ج2، ص231).
(2) انظر الطبري، جامع البيان (ج9، ص19 / 104).
(3) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج7، ص13/ 207).
(4) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، (ص 216).
(5) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج5، ص232 ـــ 233)، والفراهيدي، كتاب العين (ج5، ص355)، والجوهري، الصحاح في اللغة (ج2، ص231)، والزبيدي، تاج العروس (ج1، ص3571).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج4، ص467).
(7) الماوردي، النكت والعيون (ج2، ص388).
(8) الزمخشري، الكشاف (ج5، ص85).
(9) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج6، ص194)، والألوسي، روح المعاني، (ج14، ص484)، والماوردي، النكت والعيون (ج3، ص 249).

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ثلاث مرّات، كلّها بصيغة المضارع؛ الأولى في آية [الكهف: 70]؛ قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾، والثانية في آية [طه: 113]؛ قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾، والثالثة في آية [الطلاق: 1]؛ قوله تعالى: ﴿**لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾، وفي موضع "الكهف" أسند الفعل إلى ضمير المتكلّم، أمّا في الموضعَيْن الآخريْن فوردا مسندَيْن إلى ضمير الغائب، وهو الأصل فعل سالم لخلوّه من العلّة والتضعيف والهمز، ولازم لا يتعدّى . وزيادة الهمزة في أوّله جاءت للتعدية كما هو الغالب في زيادة همزة "أفعل"[1]. وأصله من الحدوث، وهو كون الشيء بعد إن لم يكن، وإحداثه إيجاده[2]، والمراد به هنا (في الآيات الثلاث موضوع البحث): الإنباء والبيان؛ لأنّ إحداث الجوهر وإيجاده لا يكون إلا لله سبحانه[3].

- الفعل (حدّث):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم ثلاث مرّات؛ بصيغة المضارع والأمر؛ في آيات [البقرة: 76]؛ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾، و[الضحى: 11]؛ قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾، و[الزلزلة: 4]؛ قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾، ودلّت الألفاظ على الإخبار في [الضحى] وعلى الكلام في [الزلزلة]. واللفظ في الأخيرة يتّصل بسياق التهويل والتعجّب من خلال ما يعبر عنه الفعل المضعّف؛ ليدلّ على المبالغة وتجسيم الحدث الذي يظلّل السياق بكثرة الإخبار. وصيغة المضارع تدلّ على الاستمرار في الحديث عن الأخبار الكثيرة[4].

- التنافر في (أحدث وحدّث):

بعد استقراء هذه المواضع الستّة؛ وُجِد أنّهما لا تتناوبان في استعمالاتهما في آيات القرآن الكريم؛ لأنّهما مختلفتان في معنييهما اللغويّ؛ إذ الأولى (أَحْدَثَ) من الإحداث والإيجاد والحدوث. والحُدُوثُ كونُ شيء لم يكن، وأَحْدَثَه اللهُ فَحَدَثَ، وحَدَثَ أَمرٌ أَي وَقَع، وأَحْدَثه هو فهو مُحْدَثٌ وحَديث، وفي الحديث: "إياكم ومُحْدَثاتِ الأُمور"[5] جمعُ مُحْدَثَةٍ بالفتح، وهي ما لم يكن مَعْرُوفًا في كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع، وبالفتح (مُحدَث) هو الأَمْرُ المُبْتَدَعُ نَفْسُه، والحديثُ الجديدُ من الأَشياء[6]، والثانية من التحديث و الحديث. والحديث الخَبَرُ يأْتي على القليل والكثير والجمع أَحاديثُ كقطيع وأَقاطِيعَ وهو شاذٌّ على غير قياس، والحديثُ ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثًا وقد حَدَّثَه الحديثَ وحَدَّثَه به، ومصدر حَدَّث إنّما هو التحديثُ، وأَمّا الحديثُ فليس بمصدر[7]، ويدلّل على ذلك في معنى (حدّث) آية "الضحى" الحادية عشرة: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾؛ فحدّث: "أَي بَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به وحَدِّث بالنبوّة التي آتاك اللهُ وهي أَجلُّ النِّعَم"[8]، ويؤكّد هذا كذلك قراءة عليّ – رضي الله عنه – في الآية نفسها (وأمّا بنعمة ربّك فخبّر)[9]؛ وبذلك يختلّ المعنى إذا وضعت واحدة مكان الأخرى، على عكس بعض الصيغ التي أشرت إليها سابقًا، وغيرها كما سيأتي.

---

(1) انظر الأستراباذي، شرح الشافية (ج1، ص83).

(2) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج2، ص131)، والفراهيدي، كتاب العين (ج3، ص177)، والفيروزابادي، القاموس المحيط (ج1، ص214)، وأبو القاسم، المفردات في غريب القرآن (ج1، ص110)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1، ص650).

(3) انظر حمارشة، صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم، (ص 78 ـــ 79).

(4) انظر حميد، صيغة فعّل في القرآن الكريم، (ص159 ـــ 160).

(5) أبو داود، سنن أبي داود، (ج4، ص 200).

(6) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج2، ص131)، والفراهيدي، كتاب العين (ج3، ص177)، والفيروزابادي، القاموس المحيط (ج1، ص214)، وأبو القاسم، المفردات في غريب القرآن (ج1، ص110)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1، ص650).

(7) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج2، ص131)، والجوهري، الصحاح في اللغة (ج1، ص117).

(8) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج2: 131).

(9) الزمخشري، الكشاف (ج7، ص305).

وما جاء في التفسير يدعم ذلك؛ فالمقصود بأُحْدِثَ في آية "الكهف" السبعين: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ – على سبيل المثال لا الحصر – "أن لا تفاتحني بالسؤال، ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك"[1] والمقصود بـــ "أتُحَدّثونهم" في آية "البقرة" السادسة والسبعين: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ "أي تخبرون المؤمنين بما بيّنه الله تعالى لكم خاصّة من نعت نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم أو من أخذ العهود على أنبيائكم بتصديقه صلّى الله عليه وسلم ونصرته، والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سرّ مكتوم وباب مغلق"[2].

أكبرَ وكبّر في القرآن الكريم:

- الفعل (أكبر):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مرّة واحدة فقط، بصيغة الماضي؛ في آية [يوسف: 31]؛ قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾، وهو فعلٌ مزيد، المجرّد منه لازم، وبهذا تكون همزة أفعل فيه للتعدية، انتقل الفعل بها من اللزوم إلى التعدّي لمفعول واحد، كما في هذه الآية الكريمة؛ فالهاء في أكبرنه ضمير مبنيّ في محل نصب مفعول به للفعل أكبر، ونون النسوة: ضمير مبنيّ في محل رفع فاعل[3]. وهو يدلّ فيها على الإكبار والتعظيم، تقول: أكبر الشخص أو الأمر: عدّه كبيرًا عظيمًا أي: استعظمه[4]، وهو من كبُر يكبُر بضمّ الباء فيهما، فهو كبير: عظيم، والأصل أن يستعمل في الأعيان، ثمّ استعير للمعاني[5].

- الفعل (كبّر):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم أربع مرّات؛ بصيغتي المضارع والأمر؛ في آيات [البقرة: 185]؛ قوله تعالى: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، و[الإسراء: 111]؛ قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾، و[الحجّ: 37]؛ قوله تعالى: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾، و[المدّثّـــر: 3]؛ قوله تعالى: ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾، معبّرة عن تعظيم الله تعالى، والمعنى في "الأخيرة": عظّم ربّك يا محمّد بما أمرناك أنْ تعظّمه به من قول أو فعل[6]، والزيادة فيه تفيد التعدية.

- التنافر في (أكبر وكبّر):

الفرق الدقيق بين معنى الصيغتين وضع كلًّا منهما في موضعها الصحيح الذي استخدمت فيه؛ ففي آية (يوسف) الحادية والثلاثين استعملت (أكبرنه) ـــــ وهي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي استعملت هذه الصيغة ـــــ ولم تستعمل صيغة (كبّر) للدلالة على أنّ صفة العـــظَمة موجودة في يوسف –عليه السلام – ولكنّ النسوة يجعلْنَه عظيمًا في أنفسهنّ وليس في الواقع؛ لأنّه في واقعه كبير وعظيم، والإكبار من الإعظام لا من التعظيم "وأكبرنه أعظمنه"[7]، لا عظّمْنَه، و"أَكْبَرْتُ الشيءَ أي

(1) نفسه، (ج4، ص37).

(2) الألوسي، روح المعاني، (ج1، ص375).

(3) انظر الأستراباذي، شرح الشافية (ج1، ص87)، وابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، (ج2، ص64).

(4) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج5، ص 125 ـــــ 130).

(5) انظر حمارشة، صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم، (ص 233).

(6) انظر الطبري، جامع البيان (ج8، ص 15/ 126).

(7) انظر ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن (ج1، ص243)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج1، ص315) وابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ج1، ص263)، والنعماني، اللباب في علوم الكتاب (ج9، ص258).

استعظمته، وكَبَّرَ الأَمْرَ جعله كبيرًا"[1]، وإذن لو استعملت الآية الكريمة الصيغة الثانية: (كبّرنه) لانتفت عنه صفة العظَمة الموسوم بها من عند ربّه جلّ وعلا، وكأنّ النسوة كبّرنه وعظّمنه: أي جعلْنه كذلك، وهذا يتنافى مع المعنى الصحيح للآية الذي يشير إليه المفسّرون: "﴿**أَكْبَرْنَهُ**﴾: أعظمْنه وهِبْن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق. قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء"[2] و﴿**أَكْبَرْنَهُ**﴾: "معناه وجدْن شأنه في الحُسْن والجمال كبيرًا"[3]، وأكبرت الشيء: رأيته كبيرًا[4]، وهذا ليس ببعيد عن المعنى الأوّل.

وما يعزّز هذا الرأي التفسير الثاني لمعنى "أكبرنه" التي تبتعد في معناها عن الإعظام والإكبار إلى معنى الحيض؛ فقد روي عن مجاهد أنّه قال: أكبرنه: حِضْنَ، قال أبو منصور: وإن صحّت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحيض فلها مَخْرَجٌ حَسَنٌ، وذلك أنّ المرأة أوّلَ ما تحيض، فقد خرجت من حَدِّ الصِّغَرِ إلى حد الكِبَر، فقيل لها: أَكْبَرَتْ أي حاضت، فدخلت في حدّ الكِبَر المُوجِبِ عليها الأَمْرَ والنهي[5]، و"قيل: إنّ المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت، وقد يسمّى الحيض إكبارًا، قال الشاعر:

نَـأْتِـي النِّسَـاءَ عَلَى أَطْهَـارِهِـنّ وَلَا ... نَـأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْـبَـرْنَ إِكْـبَـارًا"[6]

ولكنْ – للحقّ – فقد "أنكر أبو عبيدة مجيء (أَكْبَرْنَ) بمعنى حِضْنَ، وقال: لا نعرف ذلك في اللغة، والبيت مصنوع مختلق لا يعرفه العلماء بالشعر"[7].

أمّا (كبّر) فتحمل معاني منها: قال: الله أكبر، والتكبير: التعظيم، وفي حديث الأذان: الله أكبر[8]، "وكَبَّرَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ كَبِيرًا"[9]، وفيها الإجلال والشكر، ومن ذلك آيات [البقرة: 185] و[الإسراء: 111]: "﴿**وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾: قال بعضهم: تكبيره تعالى أن تعلم أنّك لا تطيق أن تكبره إلا به، وقال ابن عطاء: تكبيره عزّ وجلّ بتعظيم منّته وإحسانه في القلب بالعلم بالتقصير في الشكر وكيف يوفي أحد شكره تعالى ونعمُه جلّ وعلا لا تحصى وآلاؤه لا تستقصى"[10]، وفي آية [الحجّ: 37]: "﴿**لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾، أي: لتعظّموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبّه وما يرضاه، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه"[11] وفي آية [المدّثّر :3] ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾، أي: عظِّم"[12]، وهذا يقودنا إلى القول: إنّ صيغة (كبّر) استعملت في مواضعها هذه استعمالًا دقيقًا.

(1) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج5، ص 125 ـــ 130).
(2) الزمخشري، الكشاف (ج3، ص 165).
(3) الماوردي، النكت والعيون (ج2، ص256).
(4) انظر الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1، ص1299).
(5) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج5، ص125 ـــ 130)، والأزهري، تهذيب اللغة (ج3 ، ص 368).
(6) الماوردي، النكت والعيون (ج2، ص256).
(7) الألوسي، روح المعاني، (ج9، ص1).
(8) انظر ابن منظور، لسان العرب (ج5، ص125 ـــ 130)، وابن سيده، المخصّص، (ج4، ص43)، والفيروزابادي، القاموس المحيط (ج1، ص601 ـــ 602).
(9) الزبيدي، تاج العروس (ج1، ص 3437 ـــ 3442).
(10) الألوسي، روح المعاني، (ج11، ص142).
(11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج5، ص431).
(12) نفسه (ج8، ص262).

نتائج البحث:

من مُجمل النتائج التي توصّل إليها البحث:

- في القرآن الكريم أربعةٌ وعشرون زوجًا من الأفعال من وزنَيْ (أَفْعَلَ وفَعَّلَ) يشترك كلّ زوجٍ منها في الجذر نفسه، موزّعة في مئات المواضع من القرآن الكريم.
- الصيغتان من وزنَيْ (أَفْعَلَ وفَعَّلَ) تتضمّنان بذاتهما معنًى معجميًّا، وذلك تبعًا للجذر نفسه للمفردتَين؛ لكنّ طبيعة الزيادة التي تطرأ على كلٍّ منهما تقيّد عمله بين موضع وآخر، وعند الاستعمال اللغويّ تتّضح قيمتهما التعبيريّة بدقّة وعمق، عن طريق النظر بالجوانب النحْويّة والصرفيّة والصوتيّة التي تشكّل العلاقات اللغويّة بين الوحدات الصرفيّة.
- لصيغتَيْ (أَفْعَلَ وفَعَّلَ) حيويّة وفاعليّة واضحة في القرآن الكريم تتجلّى في توزّع موادّهما في مواضع كثيرة منه، وهذا يُعدّ دليلًا على حركيّة الصيغة في تفعيل الأحداث.
- تنوّعت أزمنة استعمال الصيغتَيْن بين ماضٍ ومضارع وأمر.
- لصيغة (أَفعَلَ) وحدها دلالات صرفيّة متعدّدة، وهذا يُعبّر عن إمكانيّة اختلاف المعنى في آيتيْن استعملتا الصيغة نفسها في موضعَيْن.
- لصيغة (فَعَّلَ) وحدها دلالات صرفيّة متعدّدة، وهذا يُعبّر عن إمكانيّة اختلاف المعنى في آيتيْن استعملتا الصيغة نفسها في موضعَيْن.

ولكنّ هذا لا يُؤكّد بالضرورة اختلاف المعنى كلّيًّا في آيتين استعملت الأولى: (أَفْعَلَ) والثانية: (فَعَّلَ).

- لم ترد الصيغتان بدلالاتهما كلّها في القرآن الكريم.
- قد تنوب صيغة (أَفْعَلَ) عن صيغة (فَعَّلَ) في موضع ما أو العكس، ويُدلّل على هذا دلالتهما على معنًى واحد والقراءات المختلفة في مواضع بعَيْنها، وقد لا تتناوبان؛ ويؤكّد هذا المعنى المعجميّ الذي يظهر تباعدًا في المعنى المُراد أحيانًا.
- لا يعني التناوب بين الصيغتَيْن تطابقًا في المعنى المؤدّى؛ إذ لا ترادف في معنى لفظتين منهما.
- قد يغلب استعمال إحدى الصيغتَيْن على الأُخرى في موضوعَيْن مختلفين.
- الصوت المضعّف في صيغة (فَعَّلَ) دالٌّ على قوّة الفعل وقوّة اللفظ مع قوّة المعنى الذي يستوجب تضعيف أقوى الحروف مركزًا.
- تنفرد صيغة (فَعَّلَ) بمعنى اختصار حكاية الشيء بما يُغني عن تكراره، كما في قولنا: كبّر، وهذا يختصر جملة: الله أكبر.
- خضعت حروف العربيّة للتضعيف في صيغة (فَعَّلَ) ما عدا الهمزة والحاء والغين.
- لهذه الصيغ الفعليّة آثار في تركيب الصيغ الاسميّة، ومن ذلك – مثلًا – استعمال اسم الفاعل (مُبين) من الفعل (أبان) بدلًا من (مُبيّن) من الفعل (بيّن).
- في بعض سُور القرآن الكريم يكثر استعمالُ الصيغة المُشدّدة بدلًا من الصيغ المخفّفة؛ وذلك تماشيًا مع موضوع السورة؛ ففي سورة النُّور التي تتناول تبيين الأحكام وتفصيلها – مثلًا – فاق استعمال (فعَّلَ) على (أَفْعَلَ)؛ فاستُعملت (بيّن) مناسبةً لهذا المعنى، ولم تُستعمل (أبان) التي لا تدلّ على هذا المعنى التفصيليّ، وهذا يعني أنّ موضوع السورة يؤثّر في صيغها الصرفيّة المستعملة.

* * *

المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
3. أبو القاسم، الحسين بن محمّد، (ت: 502 هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.
4. الأحمدي، موسى بن محمّد، **معجم الأفعال المتعدّية بحرف**.
5. الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد الهرويّ، (ت: 370 هـ)، **تهذيب اللغة**، الدار المصريّة للتأليف والترجمة – القاهرة، 1964 م.
6. الأستراباذي، رضيّ الدّين محمّد بن الحسن، (ت: 681 هـ)، (1395 هـ ـ 1975 م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمّد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلميّة – بيروت، لبنان.
7. الألوسي، شهاب الدّين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربيّ – بيروت.
8. ابن الأثير، ضياء الدّين، (الطبعة الأولى: 1379 هـ – 1959 م)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدّم له وحقّقه: د. بدوي طبانة، القسم الأوّل، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – القاهرة (الطبعة الثانية: 1983 م) منشورات دار الرفاعي بالرّياض.
9. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدّين عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد، (ت: 597 هـ)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، دون طبعة أو تاريخ.
10. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392 هـ)، (1374 هـ، 1954 م)، **سرّ صناعة الإعراب**، مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر.
11. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392 هـ)، (1990 م)، **الخصائص**، تحقيق: محمّد علي النجّار، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد.
12. ابن سيده، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل النحْويّ اللغويّ الأندلسيّ، (الطبعة الأولى 1417 هـ، 1996 م)، **المخصّص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، دار إحياء التراث العربيّ – بيروت.
13. ابن عاشور، محمّد الطاهر، (ت: 1393 هـ)، (1956 م)، **التحرير والتنوير**، دار الشرقيّة – تونس.
14. ابن عصفور الإشبيليّ، أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمّد النحْويّ، (ت: 669 هـ)، (1414 هـ ـ 1994 م)، **الممتع الكبير في التصريف**، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان – ناشرون – بيروت، الطبعة الثامنة.
15. ابن عقيل، (الطبعة الرابعة عشرة، 1385 هـ – 1965 م)، **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، تحقيق: الشيخ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر.
16. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774 هـ)، (الطبعة الثانية، 1420 هـ – 1999 م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
17. ابن مالك، أبو عبد الله محمّد جمال الدّين بن مالك، (ت: 672 هـ)، (لم يذكر الطبعة ولا تاريخها)، **ألفيّة ابن مالك في النحو والصرف**، ضمن كتاب (**مجموع مهمات المتون في مختلف الفنون والعلوم**)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

18. ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم الأنصاريّ، (ت: 711 هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة.

19. ابن الهائم، شهاب الدّين أحمد بن محمّد، (الطبعة الأولى – 1992 م)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: د. فتحي أنور الدابوقي، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة.

20. الجوهري، **الصّحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار الكتاب العربيّ – مصر.

21. حمارشة، توفيق أسعد، (1990 م)، **صيغة أَفْعَلَ ودلالاتها في القرآن الكريم**، منشأة المعارف بالإسكندريّة، الكويت.

22. الحملاوي، الشيخ محمّد، (الطبعة الخامسة 2002 م)، **شذا العَرْف في فنّ الصَّرف**، شرحه وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة – بيروت.

23. حميد، أحلام ماهر، (الطبعة الأولى 2008 م)، **صيغة فعّل في القرآن الكريم**، دار الكتب العلميّة – بيروت.

24. الخضري، محمّد الخضري الشافعيّ، (ت: 628 هـ)، (طبعة سنة 1415 هـ – 1995 م)، **حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

25. الدامغاني، الحسين بن محمّد، (الطبعة الأولى 1970 م)، **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين – بيروت.

26. الدينوري، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزيّ، (ت: 276 هـ)، (1382 هـ – 1963 م)، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر.

27. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.

28. الزركشي، الإمام بدر الدّين محمّد بن عبد الله، (ت: 794 هـ)، (طبعة سنة 1421 هـ – 2001 م)، **البرهان في علوم القرآن**، تخريج وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

29. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت: 538 هـ)، **الكشّاف**.

30. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت: 538 هـ)، **المفصّل**، الطبعة الثانية، دار الجيل – بيروت.

31. السامرّائي، د. فاضل صالح، **معاني الأبنية في العربيّة**، دار عمّار – عمّان، الطبعة الأولى.

32. السعدي، أبو القاسم عليّ بن جعفر، (الطبعة الأولى – 1983 هـ)، **كتاب الأفعال**، عالم الكتب – بيروت.

33. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (ت: 180 هـ)، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب – بيروت.

34. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدّين، (1993 م)، **الإتقان في علوم القرآن**، دار المعرفة – القاهرة.

35. الشمسان، أبو أوس، (طبعة 1986 م)، **الفعل في القرآن الكريم: تعدّيه ولزومه**، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت.

36. الطبري، أبو جعفر بن جرير، (ت: 310 هـ)، **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة – بيروت.

37. عضيمة، محمّد بن عبد الخالق، **المغني في تصريف الأفعال**.

38. الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم، (ت: 1364 هـ)، (الطبعة الثامنة والعشرون 1414 هـ – 1993 م)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت.

39. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال، د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرّائي.

40. الفيروزابادي، مجد الدّين محمّد بن يعقوب، (ت: 817 هـ)، (1952 م)، **القاموس المحيط**.
41. الفيروزابادي، مجد الدّين محمّد بن يعقوب، (ت: 817 هـ)، (الجزء الأول: 1383 هـ والجزء الثاني: 1385 هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمّد علي النجّار – القاهرة.
42. القرطبي، أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاريّ، (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**.
43. الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمّد، (ت: 450 هـ)، **النكت والعيون**.
44. النعماني، أبو حفص سراج الدّين عمر بن عليّ الدّمشقيّ، (ت: 775 هـ)، **اللّباب في علوم الكتاب**.

* * *